الحلقة التاسعة عشرة

نتائج عزوة بدر

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد وصلنا في الحلقة الماضية في الحديث عن غزوة بدر إلى انتصار المسلمين في المبارزة الفردية ، وتمكنهم من قتل الكفار الثلاثة الذين بارزوهم ، وقد كان هذا الانتصار بداية الخير وباكورة النجاح في تلك الموقعة ، ولذا نجد الرسول - عليه السلام - ينتبه فجأة ويقول لأبى بكر - رضى الله عنه -: - أبشر أبا بكر أتاك النصر .

وبعدئذ دارت الحرب بين الفريقين ، وكان المسلمون يندفعون ويستبسلون، ويدخلون بروح معنوية عالية ، بل إنهم كانوا يتركون القوت وهم في أشد الحاجة إليه حرصا على الظفر بإحدى الحسنيين ، ولهذا نجد عمير بن الحمام يقذف تمرات من يده ويأخذ سيفه ويقاتل حتى استشهد ، فكان أول شهيد في هذه المعركة من المسلمين ، وقد أبلى المسلمون البلاء الحسن في تلك الموقعة ، مع أن العدد قليل والعدة ضئيلة ، ولم تكن كثرة الكفار ووفرة العدة لديهم مؤثرة في قوة المسلمين ، ولا مخيفة لهم أو موهنة لعزائمهم ، وقد أكرمهم الله تعالى بمدد من السماء ، ونصرهم النصر المؤزر ، وكانت هذه الموقعة اختبارا قاسيا للكفار ، وامتحانا عسيرا لأولئك الذين وقفوا من دعوة الإسلام موقف الصلف والجفاء والتعويق ، وقد تمثلت نتيجة هذا الاختبار وتلك المواجهة فيما يلي :

أولا : اهتزاز أرض المعركة تحت أقدام الكفار ، وامتلاء قلوبهم بالرعب والاضطراب.

ثانيا : وقوع سبعين رجلا من رؤساء الكفر وزعماء الشرك صرعي في ميدان القتال

وتلك المعركة الساخنة .

ثالثا : أسر سبعين آخرين من أتباع الباطل لدي المسلمين ... تلك هي نتيجة هذه المعركة ، وهذه هي الخسارة الفادحة التي أصيب بها الكفار ، أما المسلمون فليست لديهم خسائر إذ أن هذا العدد الذي استشهد منهم والذي لا يجاوز أربعة عشر شهيدا، فإنه قد فاز بالاستشهاد في سبيل الله والشهداء لهم الحياة الخالدة عند ربهم ، وهم فرحون بالأجر العظيم الذي أعده الله لهم ، والذي تحدث عنه القرآن الكريم في قول الله تعالي : ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٦٩-١٧١).

إن معركة بدر كانت نقطة تحول في مسار الدعوة الإسلامية ، وانتصارا عظيما لجند الله ، وانهزاما واضحا لجند الشيطان ، مع أن المعركة كانت غير متكافئة بين الجانبين ، حيث كان عدد الكفار نحو ألف مقاتل بكامل أسلحتهم، في حين لم يتجاوز عدد المسلمين ثلاثة عشر رجلا وثلاثمائة ، وإذاً فبدر كانت بفضل الله ومعونته دفعة قوية في طريق الانتصارات الإسلامية ، وقفزة رائعة نحو الانتشار والذيوع ، ومقدمة لتقليم أظفار الشرك وتحطيم ما لدي المشركين من حصون وقلاع ، ولقد أدرك المسلمون إدراكا قويا وعمليا بأن الله معهم بالنصر في كل لمحة ، والتأييد الرباني في كل وقت وأنه - جل شأنه - لن يتخلي عنهم مهما اكفهر الجو أمامهم ، ومهما كثر أعداؤهم وتعددت المؤامرات ضدهم والقرآن الكريم قد أثبت تلك الحقيقة ، وجسدتها الوقائع والشواهد ، وصدق الحق تبارك وتعالي حيث قال في محكم التنزيل وهو خير القائلين :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد : ٧).

والحق لابد أن ينتصر مهما طال الأمد ، والباطل لابد أن ينهزم ولو لبس ثوب الأسد ، والصراع قديم بين الحق والباطل قدم الزمان ، والحرب سجال بين أتباع هذا وذاك ولن تتوقف إلا إذا توقفت الحياة ، وفي النهاية تحسم المعركة لصالح الحق وأتباعه ،

وهزيمة الباطل وأعوانه ، لأن من أسماء الله - تعالي - الحق ، وهو يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون وقد سجل كتاب الله تعالي نصر المؤمنين بعونه سبحانه في تلك الغزوة المباركة ، وبين أن قلة العدد وضآلة الأسلحة المادية ، لا يقفان حجر عثرة أمام النصر الرباني ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (آل عمران : ١٢٣).

إنها بداية موفقة ناجحة ، وإنها معركة لم يخطط لها المسلمون ، ولم تجل بخاطرهم ، ولم يكونوا يعرفون انهم سيخوضونها ، وإنما فوجئوا بفرضها عليهم ، لكنها كانت لصالحهم ، وسبق في علم الله أن تكون هذه المعركة ، ليلقن فيها الكفار الدرس القاسي ، وليهزموا فيها شر هزيمة ، وليعلموا أن الحق يعلو ولا يعلي عليه ، وأن أرضية الباطل هشة وليست ثابتة ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة : ٢١٦).

إن رب العزة - جل شأنه - أنزل في القرآن الكريم آيات تبين وقائع تلك الغزوة وكيف أنه - سبحانه - أوحي إلى الملائكة بأن يكونوا مع جند الحق مقاتلين مثبتين لهم ، وامتثل ملائكة الله لما أمر به الله ، فكانوا في الصورة مع المؤمنين ، يؤازرونهم ويحاربون معهم ، وينظر الكفار فيجدون أعدادا ضخمة في ميدان الحرب ضدهم ، فتمتلئ قلوبهم رعبا ثم إن الله ألقي النعاس أمنة منه علي المؤمنين ليحاربوا وهم في أتم راحة بعد هذا النعاس ، كما أنه - سبحانه - أنزل الماء من السماء ليطهر به المؤمنين ، ويذهب عنهم رجز الشيطان ، وليربط علي قلوبهم ، ويثبت به الأقدام ، إنها الرعاية الربانية ، وإنه التخطيط الإلهي وإنه النصر من عند الله ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الملائكة مُرْدِفِينَ ، وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، إِذْ يُغَشِّيكُمُ

النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ، إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الملائكة أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شاقوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال : ٩ - ١٣).

تلك هي غزوة بدر مفتاح الخير ، وتلك أول موقعه بين الحق والباطل وقد تجلت فيها الرعاية الربانية ، ونصر الله أحبابه المؤمنين وخذل الكافرين أعداءه ، ودارت علي قوي الشر الدائرة ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا .

أيها الإخوة والأخوات : لابد من انتصار الحق دائما ولابد من انهزام الباطل مهما كان قويا ، لأن الله لا يرضي أن يعلو صوت الباطل علي صوت الحق، ولئن كان المسلمون مروا بتجارب قاسية ، ومحن شاقة ، فإن هذه أمور عارضة لابد أن تزول ، وإنا لنسأل ربنا - جل شأنه - أن يمنحنا القوة المبنية علي الحق ، ويؤيدنا بالحق ، وينصرنا علي أعدائنا الذين تكالبوا علينا في هذا الزمن ، وحاربونا في الخفاء والعلن ، وهو سبحانه خير ناصر ومعين .